الموطن

تمهيد:

لنن كان موضوع المواطنة مهمًا وجذابًا ويشغل أذهان أفراد المجتمع خاصة بمناسبة اقتراحات تعديل مواد الدستور. فهو موضوع له طابع الأهمية ويثير الاهتمام فى كل وطن وفى كل آن، والدخول إلى هذا الموضوع لا يتأتى إلا إذا مهدنا له بتسلسل منطقى يتقبله العقل ويساير الفكر السليم. وهذا التسلسل يتتابع ويتوالى منطقيًا وفكريًا كما يلى:

- لا مواطنة بغير مواطن يعتنقها ويمارسها وتشرع وتقنن لأجله.
- لا مواطن دون موطن يقيم فيه سكنًا واستقرارًا.
- لا موطن يتواجد إلا إذا كان جزءًا من وطن كبير أو صغير مناسب.

إذن فدراسة المواطنة تستلزم بداية بحث الأساس، وهو الموطن الذى هو جزء من الوطن الذى ينتمى إليه المواطن الممارس للمواطنة. ولذلك نبدأ هذا الكتاب إن شاء الله بدراسة الموطن.

تعريف الموطن: فى اللغة له معنيان:

(أ) المعنى الضيق: يقصد به المنزل الذى يسكن المواطن فيه، فمواطن البقر أو الغنم مرابطها وأماكنها التى تأوى إليها.

(ب) المعنى الأوسع: دائرة محل إقامة المواطن وعنوانه الذى يرتاده ويعيش فيه معظم أيامه وغالبية حياته. ويقال فلان أقام بأرض كذا وكذا أى اتخذها محلاً وسكنًا يقيم فيه[1].

□ تعريف الشيخ رفاعة الطهطاوى:

هو عش الإنسان الذى درج فيه ومنه خرج ومقطع سرته، وهو البلد الذى فيه نشأته وتربيته وغذاؤه وهواؤه[2].

التعريف القانونى:

(أ) الشخص الطبيعى: هو المقر القانونى للشخص فيما يتعلق بنشاطه القانونى وعلاقاته مع غيره من الأشخاص بحيث يعتبر موجودًا فيه على الدوام ولو تغيب عنه بصفة مؤقتة.

(ب) الشخص الاعتبارى: موطنه منفصل عن موطن الأعضاء الذين يتكون منهم أو موطن المديرين الذين يتولون إدارته وحدده القانون بأنه المكان الذى لا يوجد فيه مركز إدارته. وفى حالة وجود فرع يعتبر مركز إدارة الفرع موطنًا له[3].

---

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء ١٣ صفحة ٤٥١ وما بعدها، بيروت – دار صادر سنة ١٩٦٨.

(٢) د. محمد عمارة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى فى الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ صفحة ١١ وما بعدها.

(٣) د. محمود سلام زناتى – مبادئ القانون أو المدخل لدراسة القانون صفحة ٣٧٦.

تعريف المواطن من منظور إسلامى:

موطن المواطن من البلاد الإسلامية هو المحل الذى ينوى الإقامة فيه ويتخذ فيه طريقة كسبه وعيشه ويجرى عليه عرفه وينفذ فيه حكمه فهو رعية الحاكم الذى يقيم تحت ولايته[1].

ويتلاقى مضمون جميع التعاريف على محور واحد هو الإقامة للمواطن فى الموطن والأصل أن تكون إقامته دائمة مستقرة فيها معاشه، وتآلفه مع أسرته وجيرانه ما لم يطرأ طارئ يبعده فترة قد تطول أو تقصر ثم يعود.

الموطن:

يمكن تقسيم الموطن إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الموطن العام: قد عرفه القانون المدنى المصرى فى المادة ٤٢ فقرة أولى: بأنه المكان الذى يقيم فيه الشخص عادة.

وينبنى على ذلك أن المكان الذى يوجد فيه الشخص لا يعد موطنًا إلا إذا كانت إقامته فيه مستقرة (فالاستقرار شرط جوهرى لقيام الموطن)، ولكن استقرار الإقامة لا يعنى عدم انقطاعها فمن الممكن أن تتوفر فى الإقامة صفة الاستقرار ولو تخللتها فترات غيبة متقاربة أو متباعدة.

ويترتب على تحديد الموطن بالإقامة الفعلية المعتادة نتيجتان:

---

(١) د. محمد عمارة، المواطنة الإسلامية من مقال بجريدة الأخبار – العدد رقم ١٦٨٠٦ سنة ٥٤، الجمعة ٢٠٠٦/٣/٣.

الأولى: إمكان عدم وجود موطن للشخص إذا لم يعتد الإقامة فى مكان معين ويستقر فيه كما هو الحال فى حالة البدو الرحل، وفى هذه الحالة لا مفر من الاعتداد بمكان التواجد.

الثانية: إمكان وجود أكثر من موطن للشخص الواحد، كما إذا أقام الشخص فى إحدى القرى وإحدى المدن فى وقت واحد.

القسم الثانى: الموطن الخاص: هو المقر الذى يجعل منه القانون أو الاتفاق موطنًا للشخص لبعض الأعمال التى ينطوى عليها نشاطه ويتنوع كما يأتى:

١ – موطن الأعمال: هو المكان الذى يباشر فيه الشخص عملاً قد يقضى القانون بأن يكون موطنًا بالنسبة لإدارة الأعمال المتعلقة به كمكتب المحامى موطنًا له.

٢ – الموطن القاصر: (المأذون له الذى بلغ الثامنة عشرة والمحجور عليه لسفه أو غفلة) موطنه هو موطن وليه أو وصيه أو القيم عليه.

٣ – الموطن الإلزامى: (موطن القاصر والمحجور عليه والمفقود والغائب) هو موطن من ينوب عن هؤلاء قانونًا لأنه يباشر عنهم النشاط القانونى الخاص بهم.

٤ – المحل المختار: يقصد به أحد الأمور التالية:

(أ) إما أن يكون لتنفيذ عمل قانونى معين.

(ب) أو يقصد به تثبيت الموطن طوال مدة يستغرقها عمل محدد.

(جـ) وإما يقصد به تجنب الدائن مشاق اتخاذ إجراءات التنفيذ فى مواجهة مدين يقيم فى مدينة أو قرية بعيدة.

(د) وإما يقصد به تركيز إجراءات فى يد وكيل معين كمحام مثلاً.

صور الموطن:

من واقع الطبيعة تتفرع صور الموطن على النحو الآتى:

المسكن: (البيت أو المنزل): تبدأ أول صورة الموطن بالسكن الذى يقيم فيه المواطن فهو ارتباط له بالموطن وبالتالى الوطن ويجمع المسكن المواطن وأسرته، وفيه نشأ وفيه يحيا وفيه تنقضى حياته يكفل له الأمن والاستقرار بماله من حرمة تتكفل الدولة بحمايتها والمحافظة عليها. فحرمة المسكن ترقى حمايتها إلى مستوى الدساتير، وتواجد هذا المسكن فى موقع مكانى معين يحدد الصور التى يتوالى اتساعها، وتختلف بيئاتها وأقاليمها على النحو الآتى:

١ - القرية والقرى: هى تجمعات سكانية صغيرة الحجم نسبيًا، وهى فى الغالب تعبير عن مقر وموطن المجتمعات الريفية، ومنها ما هو صغير ومنها ما هو كبير ومنها ما هو ظاهر أو منتظم ومنها ما هو فى طريق موعرة ويغلب على نشاطها الزراعة.

٢ - البلد والبلدة والبلاد: هى بقعة جغرافية أو مكان ما، منها ما هو ميت ومنها ما هو طيب ومنها ما هو خبيث ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[1]. وقد تضم البلد عددًا من القرى.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

٣ – المدينة والمدائن: هى تجمعات أكثر كثافة وأسبق تحضرًا وتروج فيها أسواق التجارة وتنتشر فيها أنشطة الصناعة كما تكثر فيها العمارة والترف.

٤ – الحى: هو جزء من المدينة وقسم من أقسامها تنقسم إليها ليسهل إدارتها ونظامها ويضم الحى جماعة من المواطنين المتجاورين فى منطقة جغرافية ذات حدود إدارية معترف بها.

٥ – المصر: يعنى الموطن عندما يعبر به عن رقعة معينة تنشأ فيها تجمعات من القرى أو البلدان أو المدن المتجاورة لتمثل جزءًا من الموطن ولكن قد يعبر بها عن الدولة فيخرج بها التعبير وقتئذ عن دائرة الموطن إلى دائرة الواطن. وعلى ذلك فهى مزدوجة المعنى.

٦ – موطن البدو: هو سكان الصحراء (البيداء) التى تجاور القرى أو البلدان أو المدن ويتحدد الموطن بالنسبة لهم بمدى القرب من القرية أو البلد أو المدينة لتصبح موطنًا للبدو الذين استقروا غالبية حياتهم مجاورين لأقرب منها. أما إذا تشتت البدو فى الصحراء فيتعذر تحديد موطنهم لأنهم لا يستقرون فى مكان واحد، بل يتوالى ترحالهم من موقع إلى موقع[1].

حب الوطن:

لابد للمواطن أن يتعلق بموطنه الذى نشأ وترعرع فيه فذلك أمر طبيعى وفطرى أن تؤثر بيئة الإنسان فى لبه وفكره وقلبه، وأن يحن إلى

---

(١) د. صلاح مصطفى الفوال «التصوير القرآنى للمجتمع» المجلد الثانى صفحة ١٥٨ وما بعدها دار الفكر العربى.

هذا الموطن فى أى موقع ينتقل إليهَ حنينًا عاطفيًا وجدانيًا لا إراديًا، وقد ضرب النبى ﷺ لنا المثل فى ذلك عندما وقف عند خروجه مهاجرًا بالحرورة فى سوق مكة وقال ﷺ: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت)[1].

وقد تغنى الشاعر[2] الحديث بحب موطنه مرددًا:

وطنى وصباى وأحلامى وطنى وهواى وأيامى
ورضا أمى وحنان أبى وخطا ولدى عند اللعب
يخطو برجاء بسام وطنى وصباى وأحلامى

فإنه وإن كان قد استعمل لفظ وطنى فإنما يقصد بها موطنى حفاظًا على وزن الشعر، ويؤكد ذلك ما جاء بعد ذلك من حديثه عن صباه وأحلامه وعن أمه وأبيه وولده مكونات أسرته الذين يقيمون معه فى موطنه محل إقامته.

الموطن والهجرة:

تعترض الهجرة حالة الاستقرار التى هى جوهر وأساس الموطن. فهى الانتقال من بقعة جغرافية إلى بقعة أخرى بقصد الإقامة مؤقتًا أو دائمًا. وهكذا فهى تقضى على حالة الاستقرار فى الموطن الحالى لاستبداله بآخر، وتتمثل الهجرة فى واقعة الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك فى السفر والارتحال والسياحة والاغتراب والاستيطان.

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب المناقب، باب فضل مكة ٥/٧٢٢.

(٢) الشاعر أحمد محمد مخيمر من محافظة الشرقية.

الهجرة والانتقال: كل منهما انتقال، ولكن الانتقال يطلق على الحركة المحدودة كأن تكون من مسكن إلى مسكن فى نفس الحى. أما الهجرة فهى انتقال فى الغالب من وطن إلى وطن أو من موطن إلى موطن والعكس مما يتم بالبعد.

الهجرة والارتحال: الارتحال يطلق على تحرك البدو فى الصحراء، بينما الهجرة انتقال من وطن إلى وطن أو موطن والعكس.

الهجرة والسفر: السفر انتقال من بلد إلى بلد أو مكان إلى مكان فى داخل الوطن بينما الهجرة انتقال إلى وطن آخر بقصد الاستقرار. أما السفر فيكون لهدف تعليمى أو لغرض ترفيهى أو صحى.

الهجرة والسياحة: كل منهما انتقال، والسياحة انتقال بقصد العلاج أو زيارة الآثار أو الترويح، والهجرة بقصد نقل النشاط الاجتماعى أو الاقتصادى.

الهجرة والتغريب: كلاهما انتقال، ولكن الهجرة تتم برغبة المهاجر ورضا منه خوفًا من فتنة ووقاية من الضرر. وقد أوضح ذلك الشاعر[1] فى قوله:

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ... ويذهل عنها عقل كل لبيب

خروج اضطرار من بلاد يحبها ... وفرقة إخوان وفقد حبيب

فقد أوضح الشاعر أنه ضمن الثلاثة التى يعز الصبر عندما تأتى الخروج باضطرار من البلاد المحبوبة مع مفارقة الإخوان وفقد الحبيب.

---

(١) الشاعر زهير بن أبى سلمى من العصر الجاهلى.

الهجرة والاستيطان: كلاهما انتقال، ولكن الاستيطان تسبقه الهجرة، ويعنى الاستقرار بعدهما باتخاذ المكان المهاجر إليه موطنًا.

الموطن من منظور إسلامى:

إن محل إقامة المواطن إسلاميًا لا يختلف عَمَّا سبق دراسته والقرآن الكريم قد تعرض فى كثير من آياته للموطن فى صور متعددة منه، فذكر التجاور فى الحى فى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[1].

وأورد القرية فى آيات منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾[2].

وذكر المدينة فى قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٩٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢٣.

وذكر البلدة فى قوله تعالى:

﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾[1].

وذكر البدو وترحالهم فى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾[2].

وأورد ذكر مصر فقال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[3].

واعتراف القرآن الكريم بهذه المحليات كما ظهر من الأمثلة السابقة وغيرها كثير يؤكد مدى الاهتمام بالموطن كمحل لإقامة المواطن، وكذلك اهتم القرآن الكريم بالهجرة حيث وردت فيه آيات عنها:

منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[5].

---

(١) سورة النمل، الآية ٩١.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٣) سورة يوسف، الآية ٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٥) سورة النساء، الآية ٩٧.

الوطن

تمهيد:

ننتقل من الموطن كجزء إلى الوطن ككل يحتوى أجزاء المَواطِن التى يقيم فيها المواطنون الذين يمارسون المواطنة. وبذلك تتسع دائرة انتماء المواطن من الموطن الجزء إلى الانتساب إلى الوطن الأم جنسية وانتماء وولاء.

تعريف الوطن:

فى اللغة: أوطن الأرض واستوطنها اتخذها وطنًا[1].

ويعلق أحد أساتذة القانون[2] على هذا التعريف قائلاً: ما أبعد المعانى التى يعنيها الوطن عند ابن منظور، حيث يتضمن الانتماء إلى الرقعة الجغرافية (وتساوى التراب الوطنى) والروابط اللغوية والعرفية والثقافية ويكون العدو واحدًا يتهدد الجميع بغض النظر عن الفروق التى تقوم بينهم.

---

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب الجزء ١٣، صفحة ٤٥١ بيروت، دار معاذ ١٩٦٨.

(٢) د. يحيى الجمل فى مقال له بجريدة المصرى اليوم فى العدد رقم ٦٩٤ السنة الثانية – الاثنين ٢٠٠٦/٥/٨.

تعريف رفاعة رافع الطهطاوى[1] للوطن:

عرفه بأنه المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية. وهذا التعريف يصطبغ بالصبغة السياسية. وهو ما سيسير عليه مختلف المفكرين العرب بعد أن تبناه وقام بنشره وإذاعته الشيخ محمد عبده[2].

وهناك مفاهيم ثلاثة للوطن تظهر مع أنماط ثلاثة من الوعى هى:

- الوعى الوطنى. - الوعى القومى. - الوعى السلفى.

ولم يكن فى استطاعة الفكر العربى فى القرن الماضى أن يعرفها وكان عذره فى ذلك أن الشروط الضرورية والكافية لظهورها وتبلورها لم تولد إلا فى المراحل اللاحقة، ولأن هذه الأنماط الثلاثة توجه بصفة عامة الأشكال المختلفة لاستعمال كل من مفهومى الأمة والوطن وتكسبها دلالاتها المتنوعة[3].

أهمية الوطن:

لا غناء للإنسان المواطن عن الوطن فإن فيه حياته وفيه أرضه ومثواه ومماته، من استقلاله يستمد حريته ومن عزته يتمتع بكرامته،

---

(١) الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى: الأعمال الكاملة دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، صفحة ١ أو ما بعدها بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣.

(٢) أديب إسحق، الكتابات السياسية والاجتماعية، تقديم: ناجى علوش، ص ٦٦ وما بعدها بيروت: دار الطليعة.

(٣) مقدمة لدراسة الفكر السياسى العربى فى مائة عام فى الجامعة الأمريكية، دراسة فى الهوية والوعى صفحة ١٤٥.

فيه أهله، نسل من أجداده الذين استوطنوه وسيتركه لأحفاده الذين سيرثونه إن لحقه شر ضره، وإن أصابه خير سره.

تعريف الوطن من منظور إسلامى:

هو ذلك البلد الذى نعيش فيه، هو واحة من الأمن والأمان، وهو الصدر الحنون الذى يكتنف الجميع بكل فئاتهم وعقائدهم وثقافاتهم منذ الميلاد وحتى الممات وهو الملجأ والملاذ يعيش الناس على أرضه يرزقون وتحت سمائه يحتمون[1].

ومع تنوع أقاليم وأقطار وقوميات الجامعة الإسلامية يكون جوامع القرآن من العقيدة والشريعة هى قبلة الجميع، فدار الإسلام دول متصلة الأراضى متحدة العقيدة ويجمعهم القرآن واتفاقهم من أصول دينهم[2].

والوطن فى الإسلام دار (دار الإسلام) تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله. ولم يعترف الإسلام بالحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر سكان الوطن أمة واحدة والوطن الإسلامى وطن واحد مهما تباعدت أقطاره وتناهت حدوده[3].

---

(١) محمد زكى عويس، المتأوطنون، مقال بجريدة الأخبار صفحة ٢٠ العدد ١٦٨٩٨ س ٥٥ ٢٠٠٦/٦/١٩.

(٢) د. محمد عمارة، المواطنة الإسلامية مقال بجريدة الأخبار، العدد ١٦٨٠٦ س ٥٤ فى ٢٠٠٦/٣/٣.

(٣) سيد قطب، معالم فى الطريق، صفحة ١٥٨ وصفحة ١٧٦ بيروت دار الشروق.

حب الوطن:

إن محبة الأوطان ليست مما تميل إليه النفس ساعة ثم تنفر منه. إنما الوطنية كمظهر لحب الوطن شعور ينمو في النفس، ويزداد الهيبة فى القلب ويرسخ فى الفؤاد كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه واشتدت[1].

وإن الوطنية لهى أشرف الروابط للأفراد والأساس المتين الذى تبنى عليه الدول القوية وكل ما يرى من آثار العمران والمدنية ما هو إلا ثمار الوطنية[2]. وإن حب الوطن والانتماء الحق إليه يدعوان كل مؤمن أن يكون وفيًا لتراب الوطن الذى نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع واضطراب[3].

حب الوطن فى الإسلام:

كل مسلم مفروض عليه أن يكمل وطنيته وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه. ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعًا لمواطنيه لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين[4].

---

(١) أديب تصور مقدمة لدراسة الفكر السياسى العربى فى مائة عام، صفحة ٩٥.

(٢) محمد أحمد خلف الله وآخرون، القومية العربية والإسلام، طبعة ثانية، صفحة ٨٧، بيروت.

(٣) د. أحمد عمر هاشم، الانتماء والمواطنة، مقال فى يوميات الأخبار – العدد ١٧١٠٦ س ٥٥، ٢٠٠٧/٢/١٦.

(٤) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، صفحة ١٧٥ بيروت، المؤسسة الإسلامية للطباعةوالنشر.

وقد عبر الشعراء بوجدانهم عن مدى حبهم لأوطانهم فقال الشاعر:

بلادى وإن جارت علىَ عزيزة وأهلى وإن ضنوا علىَ كرام

فمهما حدث له من وطنه فلا يمكن أن يؤثر فى حبه له وكذلك أهله الذين يعيشون معه.

أما الشاعر الحديث[1] فقد كان فى مهجره بعيدًا عن وطنه ولما حن إليه قارن بينه وبين جنة الخلد مفضلاً لوطنه على هذه الجنة فقال:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

شهد الله لم يغب عن جفونى شخصه ساعة ولم يخل أمسى

وإثر عودته إلى وطنه عبر عن مدى فرحته بلقائه بقوله:

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا

فمثل عودته إلى وطنه وعودة وطنه إليه بعودة الشباب، وهو أجمل مراحل العمر.

ويروى عن أشهر حكماء العرب[2] حكمة بالغة فى حب الوطن إذ يقول:

(إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحنانه إلى أوطانه)

فكأن علامة الرجولة لا تتبين فى الرجل إلا إذا كان يحن إلى وطنه ويشتاق إليه ويضرب ذلك الحكيم المثل بثلاث من مخلوقات الله المختلفة حيث يقول:

---

(١) أمير الشعراء فى العصر الحديث أحمد شوقى فى الشوقيات.

(٢) ما يرويه الدنيورى عن حكيم العرب الأصمعى.

(ثلاث خصال فـــى ثلاثة أصناف: الإبل تحـــن إلى أوطانها وإن كان عهدهـــا بعيدًا، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا، والإنســـان إلى وطنه وإن كان غير أكثر نفعًا له).

ومن الممكن أن نجمل أســـباب حب الوطن فى ثلاثة عناصر تشـــبه أن تكون حدودًا هى:

العنصر الأول: السكن الذى فيه الغذاء والوفاء والأهل والولد.

العنصر الثانى: مكان اكتســـاب الحقـــوق وحمايتها وأداء الواجبات والالتزام بها والحقوق والواجبات مدار الحياة السياسية.

والعنصران السابقان حسيان ظاهران يدركان بحواس المواطن.

العنصر الثالث: موضع النســـبة التى يعلو بها الإنســـان، ويعتز أو يســـفل أو يذل وهو ما يسمى بالانتســـاب أو الانتماء وهو سبب معنوى محض[1].

---

(١) محمد أحمد خلف وآخرون، القومية العربية والإسلام، طبعة ثانية، صفحة ٩٨، ٩٩ بيروت.

الوطن والدولة الحديثة

لما كان التعريف الحديث للوطن، أنه المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية ولما كانت الدولة فى مفهومها القانونى هى مجموعة من الناس تقطن بصفة دائمة إقليمًا معينًا وتخضع لسلطة معينة[1].

فإن الدول تتطابق فى مفهومها مع مفهوم الوطن بالنظر إلى أنها تحوى مجموعة الأفراد الذين لهم حقوق وواجبات سياسية وترعاهم سلطة يخضعون لها فى ظل الدستور والقانون.

عناصر الدولة: (باعتبارها وطنًا) ثلاثة عناصر:

□ العنصر الأول: المجتمع الإنسانى ويشمل عددًا كبيرًا من الأفراد (المواطنين) وعائلاتهم وما يكونونه من أشخاص اعتبارية (جمعيات - شركات - هيئات) تظلهم المواطنة.

□ العنصر الثانى: الإقليم الذى يقطنه رعايا الدولة ويتحدد عادة برقعة من الأرض بما تطل عليه من مساحة مائية، وبما يظلها من فضاء جوى يعلو الأرض والماء.

---

(١) د. محمد حافظ غانم، الأصول الجديدة للقانون الدولى العام، طبعة ثانية ١٩٥٤، ص ١٢٨، ١٧٨، ٢١٢ (بتصرف واختصار شديد).

□ العنصر الثالث: النظام السياسي ويتمثل في الهيئة الحاكمة المنظمة التى تتميز بها الدولة وتتولى الإشراف على الإقليم وما فيه من رعايا وفق الدستور والقانون الذى ينظم الحقوق ويحميها ويحدد الواجبات ويرعى الالتزام بها.

تقسيمات الوطن:

نعرض هذه التقسيمات عرضًا موجزًا مركزًا حيث تنقسم الدول الأوطان إلى ما يأتى:

أولاً: (أ) دولة بسيطة: تنفرد سلطة واحدة بإدارة شئونها الداخلية والخارجية.

(ب) دول مركبة: تتكون من اتحاد يضم أكثر من دولة وارتباطها معًا برابطة الخضوع لسلطة مشتركة تمثل فيها دول الاتحاد.

ثانيًا: (أ) دول تامة الأهلية: تملك مباشرة سائر الاختصاصات على إقليمها (مستقلة).

(ب) دول ناقصة الأهلية: لا تتمتع بسائر اختصاصاتها على إقليمها نتيجة تدخل دولة أخرى أجنبية أو هيئة دولية تباشر تلك الاختصاصات مثل الدولة المحمية والدول التى تحت الوصاية والدول الموضوعة فى حالة حياد دائم (سويسرا) والدول المرتبطة بمعاهدات غير متكافئة تنقص من سيادتها الكاملة.

حياة الدولة (الوطن):

(أ) نشأتها: تنشأ الدولة (الوطن) بأحد أسلوبين:

الأسلوب الأول: نشوء جديد من عناصر جديدة وذلك باستقرار مجموعة من الناس على إقليم غير مسكون أو مسكون بقبائل همجية أو بشعب ضعيف وتوفر الرغبة لديهم فى تكوين تنظيم سياسى مستقل.

(ب) وإما من عناصر قديمة بأسلوبين:

الأول: انفصال ولاية أو مستعمرة عن دولة الأصل.

الثانى: الاندماج كما لو اتحدت دولتان أو أكثر لتتكون دولة واحدة جديدة ويجب أن يصاحب نشوء الدولة بأى طريق من الطرق اعتراف من الدول الأخرى.

التغييرات التى تطرأ على الدول:

(أ) تغيير نظام الحكم بالانقلاب أو الثورات التى تغير نظام الحكم الداخلى أو التكوين الدستورى للدولة.

(ب) التغييرات التى تطرأ على التكوين الإقليمى للدولة فتؤدى إلى اتساعه أو نقصه.

اختصاص الدولة: الدولة لها كامل الحرية بمقتضى السيادة فى تحديد اختصاصاتها.

الدفاع: من أوليات الاختصاصات حق الدولة فى الدفاع عن كامل إقليمها برًا وبحرًا وجوًا.

تكوين الدولة على أساس إقليمى:

تملك الدولة على إقليمها اختصاصًا عامًا. ففى حدود إقليمها تملك التدخل فى سائر مظاهر الحياة البشرية لتنظيمها وإقرار ما تراه أمنًا وعدالة. ولهذا الاختصاص مظهران:

(أ) مظهر إيجابى: بمقتضاه تباشر الدولة سلطاتها فى مواجهة جميع الأشخاص الموجودين على إقليمها، وكذلك جميع الأشياء الكائنة فيه وجميع الأعمال التى تتم عليه وخاصة فى مجالات نظام الحكم وتنظيم الإدارة العامة والتشريع والقضاء.

(ب) مظهر سلبى: حق الدولة فى الانفراد بمباشرة سائر الاختصاصات فى إقليمها بحيث يمتنع على الدول الأخرى أن تباشر اختصاصًا من هذا النوع فى إقليم ليس تابعًا لها.

الدولة الحديثة من منظور إسلامى:

يتميز الإسلام بالشمول الذى يحوى ما يلى:

١ – الامتداد الزمانى فى الفكر الدينى مستعرضًا قضية البشرية منذ نشأتها.

٢ – الشمول الموضوعى الذى يغطى مجالات الحياة جميعها (سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية وعقائدية وأحداث تاريخية).

٣ – شمول يضم الأديان كلها ويحتويها فى مضامينها مصححًا لكل أخطائها وزيفها.

٤ – شمول الدعوة الإسلامية فلا تقتصر على جنس دون جنس، ولا قوم دون قوم وإنما تنظر إلى الإنسان فى جوهره الواحد وترد التفاضل إلى التقوى.

ومن كل ما سبق يستحيل على أية دولة حديثة مهما كان تكوينها ومهما بلغت حدودها أن تستوعب جميع أنواع هذا الشمول لتتكون منه دولة إسلامية موحدة. وإن المتأمل لجماعات المسلمين ليجدهم يمثلون نسبًا تتصاعد من ٩٪ إلى ١٠٪ تقل أو تزيد فى جميع دول العالم الحديث. وقليل منهم فى حكم الندرة ما تطبق دولته الشريعة الإسلامية عدد لا يكاد يعد على أصابع اليد. كل ذلك يجعل الأمر بعيدًا عن تحقيق ما عرف فى الشريعة الإسلامية بدار الإسلام الواحدة والأمة الإسلامية الموحدة التى تسكنها وإنما هى دور للإسلام متعددة وأمة إسلامية ممزقة إلى أشلاء داخل هذه الدور بنسب متفاوتة، وذلك هو الواقع المرير[1].

دار الإسلام:

هى الأرض التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى وتهيمن عليها شريعة الإسلام وتكون كلمة الله فيها هى العليا حيث تقام فيها حدود الله ويتولى المسلمون بعضهم بعضًا فى تلك الدار. وتمتد هذه الدار بامتداد الأرض التى يسيطر عليها المسلمون وتحكمها الشريعة الإسلامية سواء كان سكان هذه الأرض جميعًا من المسلمين أم توجد إلى جوارهم أقلية

---

(١) كامل همام، الإيمان وأثره فى بناء المجتمع، كتب إسلامية، العدد ١٢٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

غير مسلمة. وفى المقابل فإن هناك مجتمعات أخرى لا يسيطر عليها المسلمون، وقد توجد بها أقلية مسلمة، وقد لا توجد وليس هذه المجتمعات بطبيعة الحال مجتمعات مسلمة وتسيرها نظمها وقوانينها الخاصة بها وقد تربطا بدار الإسلام علاقات سلام وأمان وقد تكون بينهما الحرب:

١- فإن كانت على عهد وميثاق مع دار الإسلام يكن هذا العهد والميثاق هو المرعى فلا غدر ولا خيانة ولا مباغتة حتى ينقضى أجل ذلك الميثاق أو ينقضه الآخرون.

٢ - وإما أن يكون هناك اتفاق غير مكتوب على الأمان وعدم العدوان بغير معاهدة أو ميثاق، فالإتفاقية قائمة حتى ينبذها الآخرون أو تبدو منهم قدر غدر أو خيانة.

٣ - وإما أن تكون هى الحرب التى لها أهداف وقيود وقواعد وضمانات.

ولأن البشر فى عرف الإسلام أمة واحدة كلهم لآدم وآدم من تراب، لذلك أزال الإسلام كل الحواجز والسدود التى تفرق بين الناس وتضعهم فى قوالب قومية أو عنصرية أو إقليمية ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾[1].

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

وليس معنى هذا أن الإسلام ضد فكرة الوطن، وإنما هو ضد فكرة أن يقوم ذلك الوطن على الأسس المفرقة للناس كالجنس والعنصرية أو أى عرض من أعراض الدنيا. ويقدم الإسلام بديلاً لفكرة الوطن تنهض على أساس التآخى والتعاون والمحبة وطاعة الله. ومن هنا صار الوطن فى مفهوم الإسلام فكرة فى الشعور بدلاً من أن يكون رقعة من الأرض. ومن هنا كانت قناعة المنتمين للمجتمع الإسلامى بأنهم على الرغم من تباعدهم المكانى فهم أبناء وطن واحد وهم إخوة فى الله متعاونون على البر والتقوى. وهكذا حلت فكرة الإسلام وعقيدته محل فكرة الوطن لأن الأرض أرض الله والمسلمون مستخلفون فيها وكل أرض يظللها الإسلام هى لكل المسلمين وطن وسكن بغير استغلال طائفى أو عنصرى، فالجميع فوق أرض الله ووفقًا لشريعته سواسية لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض أو أحمر على أسود إلا بالتقوى[1].

(١) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن فى تربية المجتمع، الخانجى مصر، صفحة ١٠٣ وما بعدها.